الفصل الرابع

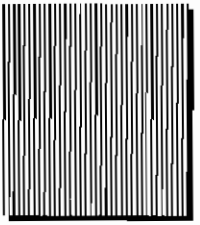

تعليم الأبنـــاء القراءة والتنشئة الاجتماعية

أولاً : أبعاد التنشئة الاجتماعية ودور القراءة فى تحقيقها:

أ - البعـــد الإنســـانى.

ب- البعـــد الاجتمـاعى.

ج- البعـــد النفســـى.

د- البعـــد التربـــوى.

ه - البعـــد الاقتصـــادى.

ثانياً : دور القـراءة فى تحـقيق تكامل الشـخصية الاجـتـمـاعـيـة وتحـقـيق الانتـمـاء:

سمات الشخصية المتكاملة ودور القراءة منها :

- دور القراءة فى علاج العيوب الشخصية.

- دور القراءة فى تحقيق الانتماء للأسرة ، للمجتمع ،

obeikandi.com

obeikandl.com

ذكرنا فى الفصل السابق أهم المتطلبات الأساسية لتعليم القراءة عند المعلم والمتعلم، حتى تكون البداية من الطرفين على أعلى درجة من الفهم والإدراك للوصول إلى القمة التى ننظر إليها جميعاً .

وفى هذا الفصل نحاول بكل هدوء وفكر ثاقب أن نأخذ القراءة إلى علاقة جديدة، قد لا نجدها فى الكتب العربية التى تناولت تعليم القراءة، باعتبارها ضمن طرق التدريس فقط، ولكن تجرنا فلسفتنا التى يمليها علينا التخصص الدقيق بأن يكون لنا أسلوبنا الخاص فى تناول العديد من المعطيات التربوية إدراكا لدورنا وإيماناً بمسئولينا .

إن العلاقة الجديدة فى هذا الفصل كيف نحقق من تعليم القراءة التنشئة الاجتماعية السليمة لأطفالنا فى عصر العولمة، ولهذا نسأل أنفسنا سؤالاً محدداً لماذا نعلم الأطفال القراءة ؟ لا أريد إجابة منك لآن ولكن حاول جاهداً أن تفكر فيها، ولا تنسى أن هذا السؤال فى غاية الأهمية، لأنه يضع الخطة والخطوات، والفكر والأسلوب والهدف والوسيلة فى كيفية الوصول إلى تحقيق ما يدور بذهنى من إجابه على هذا السؤال .

إن تعليم القراءة للأطفال هدفا فى حد ذاته، وأن هذا الهدف غائباً لا يمكن الوصول إليه مطلقاً، بالتالى فإن ذلك يجعل قيمته فى ارتفاع دائم، لأننى كلما قرأت أكثر كلما شعرت بجهلى أكثر، فأحتاج إلى مزيد من القراءة لكى أمحو مزيداً من الجهل .

ولكن إذا كانت القراءة هدفاً، فهى خير وسيلة لتنشئة الإنسان بمعناه العام والخاص، ومعنى الإنسان عظيم، قد لا ندركه، ولكن مع القراءة سوف نعرف أبواب العظمة، ومداخلها وتلك بداية للوصول إلى الحقيقة الإنسانية المطلوب ادراكها .

ولا شك أن هناك علاقة قوية ووثيقة بين القراءة والتنشئة الاجتماعية ونحن لا تقحمها قوة أو قسراً، ولكن نؤكدها فكراً ونؤيدها فلسفة .ومن هنا كانت فكرة إخراج الكتاب والمضى قدماً فى الوصول إلى ما يحقق للقارئ رؤية جديدة من تعليم الأبناء

القراءة، لأننا ما علمنا أحداً شيئاً ألا علمنا ذلك الإنسان شيئاً لم يكن نعلمه، فالتعليم متبادل بين المعلم والمتعلم، ويستمران فى العلو والارتقاء طالما هما على هذا النهج سائران.

إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى متعه الله بالعقل ووهبه نعمه التعليم لتنمية هذا العقل، فكل البشر يملكون عقول ولكن ليس كل البشر ينموا هذه العقول ويصقلوها بالقراءة لكى يحققوا منها الخير المطلوب، كمن يملك فى عهدنا الحديث جهازا متقدما من الكمبيوتر ولكنه لا يعرف التعامل معه واخراج ما به من خيرات تنفعه وترفعه وتدفعه للتقدم والتطور والارتقاء الى عنان السماء.

ويقول الله سبحانه وتعالى فى أهمية التعليم وضرورته لما يؤكد ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾

سورة الرحمن آيه (٣٣)

لقد فتحت هذه الآية على الجن والأنس أبواب السموات والأرض لكى يبحثوا فى كل ما يحقق لهم الخير والسعادة كما أن هذه الآية الكريمة تؤكد أهمية الاعداد العلمى للإنسان لكى يتفاعل مع ملكوت الله فى أرضه وسمائه باعتبار انه الخليفة المكلف بذلك والمسئول عن التحسين والتغير وتحقيق الأمن و الأمان بسائر المخلوقات.

كل ما ذكرناه يؤكد ان العلاقة بين القراءة و التنشئة الاجتماعية علاقة طرديه للوصول الى الانسانيه التى يريدن الله عليها، ويخاطبنا بها فى مواقع كثيره فى القرآن الكريم مؤكدا قيمة المعنى لهذا النداء السماوى.

ومن ثم كان من الموضوعية العلمية أن نتعرض لأبعاد التنشئة الاجتماعية ودور تعليم القراءة فى تحقيقها.

(أ) البعد الإنسانى وكيف يتحقق بالقراءة:

الإنسانية غاية كلها والوصول إلى هذه الفضيلة تحتاج إلى العديد من العلميات المختلفة التى تعمل فى تأذر وتضافر لكى تتحقق إنسانية الإنسان، فهى صفة للرقى وهى شرف للآدمية، ولو بقى الفرد على حالته التى ولد عليها لكان الحيوان الأعجمى أفضل منه والإنسانية هى السعى للكمال والجمال وكل ما يحب أن يرانا الله فيه ولا نخجل ولا نخاف، وهى الأمل والهدف، وهى القمة التى فوق كل قمة.

والبعد الإنسانى موجود فى داخل كل فرد منا ولكنه يحتاج إلى جهد وتكاتف لمجموعة من العمليات الراقية حتى ينسلخ الفرد من جلد الآدمية الأولى، إلى عز الإنسانية السامية .ولن تتحقق تلك العزة وتكتمل هذه الصفة إلا بجهد من يعرف ويعلم إن الفرد يملك بداخله كل مقومات الإنسانية ولكنه يحتاج إلى خبير يرشده، وإلى طبيب يعالجه وإلى قائد يدله على المسلك ويبعده عن المهلك، وإلى أب عطوف وإلى أم رؤوم، وإلى معلم كيِّس فطن، يعرف القدر ويدل عليه وبذلك يمكن الرقى إلى مراتب الإنسانية العالية.

وكل فرد آدمى فى الحياة له فى طبيعته شقان، الأول هو الجسم وما يحويه من أجهزة تعمل بلا إرادة منه أو سيطرة عليه ولكنها تحتاج إلى وعى وإدراك فى الحفاظ عليها وحمايتها والتأكد من أنها تعمل فى ظروف طبيعة ملائمة ويؤدى دورها وقف مشيئة خالقها لهذا الفرد حتى تستطيع أن يتنفس ويدق قلبه لتجديد وتنقيه دمه ويشعر بجوع ليبقى سليماً، ويحس بالإخراج للتخلص من البقايا والفضلات، ينام رغم أنفه لكى يعدل المخ كيمائيته ويحقق التوازن للأجهزة .

أما الشق الثانى :فهو الغير مرئى والأكثر تحكما فى حياة الإنسان وهو الذى منه تظهر ملامح الشخصية الإنسانية، ويتحدد فيها أبعاده الإنسانية، بسلوكها نحكم بأن إنسان يستحق اللقب وجدير بالمعنى، هذا الشق هو الشق المعنوى والذى يطلق عليه الروح وما بها من وجد وشوق وألم وحب، وفطنه وتقدير، وخوف ووجل من اليوم والغد وفيه مكمن الأمل والحفز والدفع إلى العمل، فيه الطمع والطمح، وفيه الاقدام

والأحجام، والروح قبل الجسد فى عالم الذر موجودة وبعد فناء الجسد باقيه، وتوصف ولا ترى ونعرفها من أفعاله ومع ذلك لم ولن يعرف أحد طبيعتها وعلينا أن نتعامل معها لكى نرقى بها إلى مستوى الوصف الأبدى لها.

البعد الإنسانى يأخذنا من أنفسنا وأنانيتنا، إلى العالم كله خير لا فرق بين أسود أو أبيض، أو غنى أو فقير، ولكن علينا أن نصل إلى روح آدم عليه السلام وهى مهبط الإنسانية، وبما أننا جميعاً من تلك الإنسانية الواحدة التى هبطت من روح الله فنحن جميعاً علينا أن نتغلب عن رغبات الجسد الجشعة، ونحطم سيطرة شهواته، لكى نسموا إلى الإنسانية مهبط الرحمات.

ويقول علماء النفس فى أهمية الوصول إلى هذا البعد كضرورة أن العالم يتقارب بإنسانيته أسرع كثيراً من التقارب بأجساده، ولا شك أن هذه حقيقته وعلينا أن نعرفها تماماً ونسعى إلى تأصيلها أعمق فى نفوس البشرية التى تأكلها نار العولمة، وفقدت مشاعرها تماماً.

وليس ذلك فقط، بل أن جميع الحروب التى نشبت واستعرت فى البلاد لتنهش العباد ظهرت فى الفترات التى غابت فيها الإنسانية ولم يبقى فى هذا العالم الأشباح الذين خلت هياكلها من الأرواح وصفائها، والإنسانية وعبقها.

ومن أهم سمات البعد الإنسانى ما يلى:

(١) القيام بأعمال الخير كلها طواعية وبدون مقابل أو كلمة شكر واحدة، علماً منه بأن ما يقدمه للغير، هو خير يقدمه لذاته حيث أنه متيقن من ذات الإنسانية كلها واحدة.

فلا يتكبر بجاهه ولا يتغطرس بماله، ولا يشمت من مرض أخر أو فقر غيره، لأن ذلك يؤذيه أولاً، يحاسب عليه ثانيا من منطق المسئولية.

(٢) القدرة على تحقيق التفاعل الإيجابى مع الجماعة الإنسانية والتكيف معها .حيث أن لا إنسانية للإنسان دون التفاعل مع الجماعة لكى يأخذ منها حاجاته المادية

والمعنوية، وكى يعطى نصيبه لها .فالحب مثلاً قيمة عالية خالية من النفاق وخالية من الرغبات الشخصية يعرف إلا فى جماعة الإنسان بمعناه الطاهر والنقى، ولكن حينما يختفى تتحول المعايير وتتعامل معه حيوية الجسد .

(٣) مشاركة الجماعة الإنسانية أفراحها واتراحها، حتى لو كانت تلك الجماعة بعيدة المسكن والمكان، ولكنها قريبة القلب والفؤاد فقلب الإنسانية واحد يتألم لأى ألم فى أى إنسان وفى أى مكان وتلك الدرجة التى علينا أن نصل إليها، ونسعى لوصول أطفالنا لها، خاصة مع فكر العولمة السالب الذى تظهر فيه بوادر السيطرة والتملك من القوى الذى يتنصل من مساعدته للضعف الذى يحتاج المساعدة، وكأن المعايير الإنسانية انقلبت فى فكر العولمة إلى غابة الحيوانات، فلم تعد هناك قيمة نسعى إليها سوى الحصول على ما نشتهى من ماديات بالوسيلة التى تحقق لنا هدفنا دون مراعاة لأى من القيم الأخلاقية الإنسانية الراقية.

(٤) أن تسهم فى توجيه السلوك الإنسانى إلى ما يحقق المصلحة العامة حتى لو تعارض ذلك مع الأنانية الشخصية، أو المنفعة الخاصة بحيث نتأكد أن مصالح الإنسانية أبقى وأعم وأشمل من المصلحة الذاتية، لأن التعاون من أجل الخير للجماعة مقدم على خير الفرد منفرداً إذا كان ما ذكرناه هو سمات للإنسانية وأبعادها، فكيف يتحقق ذلك عن طريق تعليم القراءة؟.

إن القراءة فى حد ذاتها نور للإنسان وطريق للخير، فكيف يعقل أنك تسير فى طريق الخير ممسكاً بمصباح منير، وتصطدم بعقبات الشر أو بهوام الظلام، أن النور طارد للظلام، والخير مدرىء للشر افليس بعد ذلك أن يكون الإنسان على أعلى درجة من القناعة بأن تعليم القراءة من أعلى وأبقى وأفضل ما نحققه للبعد الإنسانى، ومع ذلك نعرض مجموعة من العوامل التى تساعد على مزيد من القناعة بذلك ونوجزها فيما يلى:

أهم ما تحققه القراءة للبعد الإنسانى:

(أ) الأمر بالمعروف والنهى على المنكر:

أن تعلمنا القراءة للأطفال يؤكد مبدأ هاماً وضرورياً فى حياة البشر وهو أن المعروف هو الأصل وهو الأبقى والاشمل فى حياة المجتمعات، وكلما قرأ الأب أو المعلم شيئا لمن من يعلمه من الصغار تعرض بالشرح والتبسيط للمواقف الحياتية التى يؤكد فيها أهمية الخير وطرق غرسه فى نفوس الصغار حتى يعتادوا عمله بتلقائية، وأن يقبح لهم الشر ومكانته فى نفوسهم حتى إذا كانت القصة أو الموقف تشير إلى قوة الشر وجبروته وسيطرته على مقدرات الأمور لكن مع مر الزمان وصبر الإنسان يجد ويتأكد بعودة الخير وانتشار المعروف بين الناس تأكيداً لمبدأ أن الخير لا يعدم جوازيه وأن الشر مندحراً بكل قوته .

وبذلك يرسخ فى قلوب الأطفال عمل الخير والسعى إليه، ولا يغرهم الشر ومكانته، لأنها ليست باقية وبكل تأكيد منهزمة .

وإذا استطاع الأب أو المعلم غرس تلك الفضيلة فى نفوس الصغار فأنه يتأكد أن الهرم الأخلاقى فى الإنسانية باقى وقاهر لكل أنواع الظلم، وما تحمله أوراق العولمة من طغيان وانحراف عن مسيرة البعد الإنسانى .

(٢) التوحد مع الشخصية الثقافية للأسرة

إن الأباء والأمهات حين يعلمون أبناءهم القراءة فأنهم دون أن يعلموا يجدوا أبناءهم قد توحدوا معهم فى العادات والتقاليد، حتى يصل الأبناء إلى درجة الاندماج شبه التام مع الشخصية الثقافية للأسرة، وهذا يحقق النسق الإنسانى والاستمرارية فى بناء هذا البعد الهام والشخصية الثقافية من الأمور الهامة لتحقيق الترابط بين جماعات الإنسانية والتعاون مع غيرها من الجماعات المختلفة من الكائنات الحية لكى تتوازن الطبيعية الحيوية، وتستمر مسيرتها، ولا شك أن الأطفال يكتسبون بطريق غير مباشر

كل الطرق والأساليب والوسائل التى تحقق لهم التفاعل مع الأسرة بسهولة وتلقائية، حتى يتمكنوا من التكيف والتعامل مع المجتمع والجماعة الإنسانية.

وتعلم القراءة للأبناء يحقق فيهم رغبه الأسرة من حيث اللغة والدين والعادات والتقاليد، والرؤية المستقبلية لثقافية المجتمع وتطلعاته، وهذا يتم دون مشقة أثناء التعليم، باعتبار أن العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة إيجابية يكون المعلم هو القدوة الحسنة فى ذهن المتعلم.

(ب) البعد الاجتماعى

يعتبر البعد الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية من الأبعاد الهامة والضرورية، التى تسعى عمليات التنشئة إلى تحقيقها فى الكائن الحى، ويذكر علماء الاجتماع أن التنشئة الاجتماعية تكمن أهميتها فى تشكيل السلوك للاجتماعى فى الإنسان وتحويله من الحالة البيولوجية التى يولد عليها إلى الحالة الاجتماعية التى يجب أن يصل إليها كما أنها عملية تعليم مقصود للجيل الجديد من السابقين السلوك الاجتماعى فى الموافق الاجتماعية المختلفة، على أساس ما يتوقعه منهم المجتمع الذى ينشأون فيه، وهى فى النهاية عملية إكساب الأجيال ثقافة المجتمع للحفاظ عليها وتنقيتها مما يعلق بها على مر الزمان لتبقى على صفائها ونقائها، ولا ضير إذا ما أضيف إليها من خبرات الحاضر كى يدعم مسيرتها، ويجعلها قادرة على العطاء باستمرار.

وقد عرف "بارسونز parsons التنشئة الاجتماعية بأنها" عملية تعلم تعتمد على التلقين والمحاكاة، بهدف إدماج عناصر الثقافة فى نسق الشخصية، ويتضح من ذلك ملامح البعد الاجتماعى.

١ - تحويل الكائن الذى يشابه سائر الكائنات الحيوانية، فى وقت ميلاده إلى كائن حى منفرد فى صفاته ليلحق بموكب جماعة الإنسان.

٢ - التوافق شبه الكامل بين سلوك الجماعة فى كل الموافق الاجتماعية فى المجتمع.

٣ - القيام بالعمليات الاجتماعية المتعددة من منطلق التعليم للحفاظ على ثقافة المجتمع.

ولا شك أن الإنسان مهما ارتقت إنسانيته لا تظهر بوضوح إلا فى سلوكها الاجتماعى المتوافق مع البناء الاجتماعى للمجتمع .

وقد أوضحت العديد من الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية أهمية الجانب الاجتماعى للمجتمع، ولذلك يقوم المجتمع بتعليم الأجيال على ما يحقق فيهم بناء هذا الجانب حيث يعتبر المدخل الأول لبوابة المجتمع ويعتبره البعض هو الباص المشفر فى الإنسان للتعامل مع الإنسان وللمجتمع، وإلا أغلقت فى وجهة جميع الأبواب، ونبذ بالعراء دون سميع له أو مجيب لحاجاته .

وحين ينفق المجتمع من ماله وإمكاناته لتحويل الأطفال من آدميتهم إلى اجتماعيتهم فإنه لا يعتبر ذلك بذخاً أو عبثا أو هدراً للمال العام، وإنما يعتبرها من أعظم وابقى الاستثمارات التى سوف تعود بالفائدة على المجتمع وقد حسم القرن العشرين فى نهايته وبداية الألفية الجديدة الصراع الدائر بين الدول المتقدمة فى من يمسك ناصية التقدم فى الكرة الأرضية، فكان ذلك من نصيب اليابان وخسرت أمريكا الرهان، حيث تدفع اليابان أعظم استثماراتها لبناء الإنسان اليابانى، إنها تعلم تماماً أنها لا تملك من موارد طبيعية تحقق لها التقدم والانفراد للقمة، فكان الاتجاه الاصوب والأعلى صوتاً هو بناء الإنسان، وقد انتصرت اليابان وحققت تنشئة اجتماعية عالية المستوى فى جميع المجالات، باعتبار أن بناء الإنسان للمجتمع العالى هو أصعب طريقاً وأسهل وصولاً وأكبر ذواقا .

ومن أهم مميزات التنشئة الاجتماعية ما يلى:

(١) تحقيق عملية التكيف بين الإنسان ومجتمعه:

إذا نظرنا إلى مفهوم المجتمع فإن ذلك يأخذنا إلى كل الجوانب والمجالات التى يعيش فيها الإنسان ويتفاعل معها، ويحتاج إليها، ولا يمكن الحياة بدونها والغريب فى الأمر أن ذلك المجتمع ذاته لا يقوى على الاستمرار فى عطائه دون أن يقدم له الإنسان خبراته ومهاراته وابتكاراته، ومن هنا تتأكد حتمية العلاقة الموجبة بين الإنسان

ومجتمعه، فليس هناك مجتمع متقدم بذاته حتى ولو كانت موارده الطبيعية غنية وثرية، فإن استمرار تدفق العطاء للموارد الطبيعية بما يحقق رغبات الإنسان المتزايدة، متوقف تماما على جهد الإنسان وقدرته على الإضافة للمزيد من الابتكارات فى الحفاظ على تلك الثروات والخبرات بمعدلاتها، دون أن ترهق أو تستنزف ثم تتلاشى وتنتهى ويعود الإنسان إلى فقدة واحتياجه.

ولذلك من أهم مميزات التنشئة الاجتماعية التى تتم عن طريق القراءة هو كيفية تحقيق التوازن مع المجتمع بين الحقوق والواجبات، بين الأخذ والعطاء وبين الاستهلاك والاستثمار، وبين الانفاق والادخار، وكلها أمور تحتاج إلى درجة عالية من التكيف، ولن يتم ذلك بدون تعليم القراءة فى الماضى والحاضر لاستشراف المستقبل والتعامل معه بالصورة التى يتحقق فيها الخير للإنسان فى المجتمع .

ونحن إذ نوضح للقارئ أهمية ذلك من أهم نؤكد له أن تعلم القراءة هدف إنسانى عالى القيمة ويجب أن تدركه تماماً للعمل على هدية ونوره.

(٢) تحقيق عمليات الضبط الاجتماعى:

تسهم عمليات التنشئة المتعددة إلى تحقيق مبدأ الإلتزام بين الفرد ومجتمعه والتى بمقتضاها يتحتم على الأفراد فى مختلف المستويات الأخذ بقواعد محددة وثابتة ولا يمكن الحيدة عنها أو تجاوزها .

فالتنشئة الاجتماعية تعمل على التوجيه والضبط والقيادة، لتحقيق التوازن بين رغبات الفرد وإمكانات المجتمع .

وتأتى أهمية تحقيق الضبط الاجتماعى فى دعم وزيادة كفاءة الرابطة الاجتماعية دون تدخل من السلطة التشريعية أو سن قوانين دستورية، ولكن من خلال أن الفرد جزء فى دائرة الجماعة، وأن دائرة الجماعة لا يمكنها الدوران باتزان دون أن يكون الفرد المنضبط هو مركز نصف قطرها .

وعملية الضبط الاجتماعى الراقى لا تقوم على السلطة الخارجية، بل تخضع إلى انضباط سلوك مع ايقاع المجتمع ليكون سلوكه قائماً على القيم الاجتماعية العليا المتمثلة فى مراقبة الله فى السر والعلن، والعمل بما يرضيه إيمانا من الفرد بأن السعادة هى سعادة المعنى والجوهر وليست سعادة الشكل والمظهر وتعمل القراءة بكل أبعادها التربوية والتعليمية فى تمكن أنماط الضوابط الاجتماعية فى سلوك الأفراد، وجعلها التزاما محبباً يقوم به الأفراد عن طواعية دون إجبار أو إكراه يثاب عليه الإنسان من الله فى أخرته، ويشعر بسعادته وأثره فى دنياه .

والضبط الاجتماعى كبعد من التنشئة الاجتماعية قائم فى تعليم الأطفال القراءة وقد يكون من أكثر السمات والمظاهر التى تتحقق فى طريقة الالتزام بالأوامر والنواهى التى يقوم بها المعلم أثناء التعليم للأطفال .

ومن أهم ما تحققه القراءة للبعد الاجتماعى ما يلى:

(١) الارتقاء بالقيمة الاجتماعية للإنسان:

إن الإنسان كمخلوق فى حد ذاته قيمة اجتماعية عليا، وإذا ما تعلم القراءة فإنها تزداد قيمته وتعلو مكانته .وإن كل ما تحتاجه عمليات التنشئة الاجتماعية يمكن القول إنه محقق لتلك العمليات جملة وتفصيلاً .

فالقيمة المضافة لتعليم الإنسان القراءة هى ما يستطيع تحصيله من معارف وعلوم تجعل حركة الحياة فى عقله مبرمجه، ويمكن من خلال تلك البرمجة إضافة أشياء مبتكرة تخدم الحركة وتيسر السير فيها وهذه مهمة الإنسان الأولى والأساسية فى الحياة.

وقد أثبت رجال الاقتصاد أن القيمة الاقتصادية للإنسان المتعلم ترتفع بالقدر الذى ناله من التعليم، وذاك يعنى أن القيمة الاجتماعية باعتبارها الجناح الثانى للقيمة الاقتصادية فإن كلاهما يدعم الأخر ويقوى حركته فى الحياة ويقول الشاعر فى هذا المقام مؤكداً على أهمية العلم والمال فى بناء القيمة العليا للدولة والسلطان ما يلى:

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهـل وإقلال

وهذا ما يمكن التحـقق منه بأن المال وحده لا يحقق البقاء والاستـمرار فى عالم المعرفة والعلم، وكذلك العلم وحده يحتاج إلى الدعم الاقتصادى وقوته وبذلك نؤكد أن القراءة هى بداية العلم الحقيقى، وبداية الوصول إلى القيمة الاجتماعية للمجتمعات الإنسانية .

(٢) تعميق التوافق الاجتماعى بين الإنسان ومجتمعه:

تسهم القراءة فى معرفـة الأبعاد الاجتماعية للمجتـمع، وتجعل الفرد على علاقة إيجابية بـالعديد منها للحاجـة المشتركة بينهمـا، كما تعمل على تجنب السـالب منها لاتقاء شرور وعدم التفاعل معه .

وتعليم القـراءة للطفل تجعلنـا محط الأسـئلة والاستـفسـار عن طبيـعة الأشـياء والمواقف الاجتماعية التى يعيش فيها الإنسان مع سائر الكائنات الأخرى، كما توضح له دور كل فصيلة وجمـاعة وماذا نأخذ منها وما هى الأشياء التى نعطيـها لها، وكلما قرأ الأطفال كما زادت العلاقة الاجتماعية توطداً ورسوخاً، حتى نصل فى النهاية إلى أفضل درجة العمق التوافقى للعلاقات الاجتماعية بين الإنسان ومجتمعه.

وكثـيراً ما يحـدث خلاف وانشـقـاق، فى صورة تطرف وانحراف عن المجـتمع، وبالبحث والاسـتطلاع ثبت أن هؤلاء الأفراد لم ينـالوا قسطا وأفراً من التـعليم الذى يحقق لهم قيمـة الأشياء وطرق التعامل معها، أو بمعنى أخر أن تعـليمهم القراءة كان سطحيـاً للغاية ولـم يصل إلى أعماق نفـوسهم وبالتالى لم يصـقلوها ويجعلوها على أعلى درجـة من التوهج والإضـاءة، فالقـراءة منذ قديم الزمـان هى مفـتاح التـوافق الإيجابـى بين الإنسان وذاته وبين الإنسـان وذات الآخرين وبين الإنسـان ومجـتمـعه ويعتبـر البعد الاجتـماعى من أكثر الأبعاد إيـقاعاً فى حياة الإنسـان لأنه يعنى ويهتم

بعملية التشكيل الإنسانى للطفل البشرى، ذلك لأن السلوك الإنسانى سلوك مكتسب، والقراءة تعليم تكسب تلك السلوكيات بعمق تام فى نفوس الأطفال وفى كل المجتمعات البشرية تتم عمليات التطبيع للدين والمهنة والسياسة والطبقة الاجتماعية عن طريق الإرشادات والتوجيهات التى تسير فى تآزر تام مع تعليم القراءة لكى ينشأ الطفل على ما أراده له أبواه .

ومما يؤكد أهمية دور تعلم القراءة فى تعميق البعد الاجتماعى أن الأفكار والانفعالات والسلوكيات الإنسانية ليست نظرية أى أن الفرد يولد مزوداً بها، ولكنها تكتسب نتيجة الإشتراك فى مناشط الحياة المختلفة وعملياته، لذلك يمكن القول أن عملية التطبيع الاجتماعى فى الأطفال من أهم المشكلات الوظيفية للأسرة والمجتمع والتى لا يمكن الاستغناء عنها فى جميع المجتمعات، وفى جميع الجماعات، وتستمر هذه العملية وتبقى طوال حياة الإنسان من المهد إلى اللحد .

ومن هنا نشير إلى أهمية تعليم القراءة للأطفال فى تحقيق الذات الاجتماعية القادرة على التكيف مع ظروف الحياة الاجتماعية المتغيرة والمتسارعة فى درجة التغير ولذلك يجب ألا تتباطئى الأسرة فى تعليم وليدهم القراءة جهلاً منهم بعدم قدرته على التعلم أو تناسياً لأهمية هذه المهارة وذاك النشاط الراقى، ونحذر كل بكل قوة من عدم ممارسة هذا النشاط فى الأسرة، لأنها تقتل المواهب فى بواكيرها الأولى وتأخر اكتساب الخبرات من مصدر هام فى حفظ النمط الثقافى والاجتماعى للمنهج الإنسانى .

(ج) البعد النفسى :

تهتم التنشئة الاجتماعية بالبعد النفسى للإنسان، باعتبار أن الإنسان يحوى بداخله نفساً ولا يمكن التغاضى عنها، أو إهمالها دون تهذيب. وقد ذكرنا فيما سبق أن النفس البشرية كالطفل وهذه حقيقية ولذلك لا يجب مطلقاً ترك الطفل دون تربية وكذلك النفس التى بداخله.

كما أن البعد النفسى ضرورة حياتيه لتحقيق التكيف مع الذات الشخصية، والذات المجتمعية.

وقد تناول "البهى" ذلك البعد معرفا له بإنه مجموعة العمليات التى يتحول بها الفرد من كائن عضوى، إلى شخصية اجتماعية، وتصل قمتها فى الطفولة المتأخرة ولا تقف عند ذلك بل تمتد إلى مراحل العمر المتعاقبة بامتداد الحياة.

ويؤكد العالم "إيركسون" Erikson أن التطور النفسى يبدأ مبكراً فى حياة الطفل ويأخذ فى البداية شكل الصراع بين الثقة وعدم الثقة فى العالم المحيط، لأنه كثير الأسئلة يرغب فى الإكتشاف ولا يدرك الكبار أحيانا تلك المسئولية وقد يحبطوها فى أطفالهم مما يزيد الفجوة فى العلاقة ويدعم عدم الثقة، ولذلك يؤكد ذلك العالم بضرورة إشباع حاجات الطفل الرئيسية بما فى ذلك حاجته للأمن والراحة والغذاء حتى يؤدى هذا إلى انبثاق مشاعر الثقة بالعالم المحيط به والبيئة التى يعيش فيها، ولكى تشعر نفسه التى بين ماديات الجسد أنها محاطة بالرعاية الأمنية التى تحقق لها الاستقرار.

ومن أهم السمات النفسية فى مرحلة الطفولة المبكرة :

(١) الميل للعب التمثلى الذى يتولى فيه الطفل القيام بأدوار البالغين، أو بأدوار أخرى لأشخاص فى عالمة الواقعى كدور الطبيب والمريض، أو المدرس والتلميذ، أو الأب والطفل، أو الشرطى والمجرم وتعطى إشارات هذه الألعاب الدور الذى يحب الطفل القيام به وإلى التنبؤ بالميول والرغبات التى تتعلق بنفسه، ويفرح فى ترجمتها فى عالم الواقع، والكثير من الشخصيات الهامة والعامة حين سئلوا عن مناصبهم الحالية أكدوا أنها ألعابهم فى الطفولة.

(٢) زيادة التعبير الإبداعى عن الذات، حيث تظهر لدى الأطفال العاديين الوعى بالتفرد والاختلاف عن الغير، وأنه صاحب خصائص لا يشاركه أحداً فيها وتبدأ رغباتهم فى الرسم والتلوين انعكاساً لرؤيتهم للواقع الذى يعشون فيه، وبالرغم

من بساطة تلك الرسوم إلا أنها تعبر عن المشاعر الإدراكات الإنفعالية التى يعتزون بها، لذلك علينا إن نقدم للأطفال فى أعمالهم المبكرة زاداً نفسياً، يجدد فيهم الأمل والرغبة فى العمل حتى يتعودوا الثقة بالنفس والمجتمع .

(٣) تطور المفهوم عن الذات، حيث ينمو الجانب المعنوى الداخلى لدى الأطفال بصورة واضحة بعد سن الثالثة، حتى أن بعض علماء النفس يطلقون عليها مشكلة الأنا الأصغر أو بداية ظهور الذات الصغرى حيث تكون الكبرى عند فترة المراهقة أو الثالثة عشر من العمر، وهذا التطور يساعد الأطفال على اكتساب المهارات الأساسية التى تساعدهم على تعلم القراءة والكتابة ومعالجة الأرقام .

(٤) زيادة التوافق مع الأقران وتقبلهم، نتيجة للوعى بالذات وبالآخرين وفى هذه المرحلة تظهر علامات اللعب الجامعى وإن كان الزمن المستغرق غير طويل إلا أنه تظهر روح التفاهم والاتفاق على الأعمال التى يقومون بها، مدركين أدوارهم.

كل هذه السمات توضح البعد النفسى للتنشئة الاجتماعية وما يمكن تحقيقه من خلال تعلم القراءة لهم فى هذه الفترة المبكرة وذلك إذا تم استخدام عمليات ومهارات التعلم المناسبة لهذا البعد الهام.

وأهم ما تحققه القراءة للبعد النفسى ما يلى:

(١) الشعور بالزهو والانتصار:

أن من أهم ما يحققه تعليم القراءة للأطفال هو الانتصار والتحول من عالم عدم القدرة على الكثير من الأشياء، إلى عالم التحكم فيها والسيطرة عليها وهذا يعطى الأطفال شعوراً عارماً بالزهو والفرحة، وتزيل منهم القلق والخوف.

وتلك طبيعة النفس البشرية إذا أنها دائما تخاف من ما تجهل وكون للأطفال ينتقلون من مرخلة النظر وعدم الفهم، إلى مرحلة البصيرة والفهم فإن ذلك يحقق لهم الفخر بإمكاناتهم، وتعطى لهم المزيد من التقدم، وتحتاج تلك المرحلة إلى

ملاحظة دقيقة ودفعة جريئة، كمن تعلم فن العوم فنشجعه على ركوب الأمواج ومجابهة المخاطر لاستطلاع الأعماق والحصول على مكنون اللؤلؤ.

كما أن هذا الشعور يؤكد قوة الشخصية ويمنعها من الاضطرابات التى تؤثر على التفكير والإدراك والمزاج كما تبعد عنهم الشعور بالغيرة الشديدة من الآخرين .

ومن أهم وأبرز الحقائق العلمية التى تحققها القراءة للأطفال:

(١) زيادة الطلاقة اللفظية انطلاقا من الثقة .

(٢) تقليل العدوان على الأخوة والأصدقاء .

(٣) الرضا عن النفس .

(٤) المثابرة وعدم الخوف من الفشل .

٢- إطلاق الأحاسيس الداخلية:

إن تعليم القراءة للأطفال يسهم إلى حد كبير فى أن يكون لدى الأطفال قدراً كبيراً من التعبير اللفظى أو النفسى عن الأشياء التى بداخلهم ولا يجدوا من الوسائل المتاحة التعبير عنها، فحين يعلم الأب أو الأم أطفالهم فإنهم يكتشفون ما بداخلهم من رغبات مكبوتة للحب أو الكره للأشياء المختلفة مثل أنواع الطعام، وأنواع الحيوانات، كل هذا يجعل الأمر بالنسبة للوالدين أمراً سهلاً يمكن التحقيق منه فى ظل الاستمرار على ما يشعر به دون تحولاً عنه وإذا ما أطلق الأطفال أحاسيسهم الطبيعية، فإن ذلك يخلصهم من التوتر والقلق ويعيد إليهم الراحة والأمان وإذا ما تم مراعاة تلك الأحاسيس فيمكن التفاعل معها بما يحقق المتعة من التعليم، واختيار طريقة أو وسيلة جديدة تجعل الأطفال أكثر حب للكتاب وتعليم القراءة .

كما أن تعليم القراءة للأطفال يكشف عن حقيقة ما خفى من مشكلات عند الأطفال ولا يتحدثون عنها بصراحة مطلقا، خوفًا أو خجلاً من الأب أو الأم أو

obeikandl.com

المعلم. ولكن نجدهم عند التعليم يظهرون ما تخفيه مشاعرهم الداخلية بصورة تعبيرات فى الوجه أو اليدين، أو من خلال الألفاظ أو الكلمات التى يعبرون بها عن الموقف بصورة تلقائية غير مقصودة.

وعلينا أن نجعل من تعليم القراءة فرصه لإطلاق الأحاسيس من نفوس الأطفال لتحقيق ما يلى:

(١) معرفة الأحاسيس الإيجابية بداخل نفوس الأطفال وتقويتها والعكس.

(٢) العمل على إزالة الكره للطرق والأشياء التى تحول دون تحقيق مشاعره الايجابية.

(د) البعد التربوى:

يعتبر البعد التربوى للتنشئة الاجتماعية، الإطار العام الذى تظهر فيه كل عمليات الأبعاد السابقة واللاحقة، حيث الوصف الشامل للإنسان من المجتمع الذى يعيش فيه بأنه "تربى" وهذه الكلمة المربعة الحروف تعنى الوصول إلى درجة عالية من السلوك المقبول من الجماعة الإنسانية، وأنه لا يدخل انحراف أو سوء سلوك وقد ترادف كلمة التربية مع تنشئة الاجتماعية فى الكثير من الكتابات الاجتماعية والتربوية مما يؤكد عمق الروابط بينهم وقوة التداخل فى حركتها.

كما أن التربية وأبعادها الخاصة هى جوهر السلوك الاجتماعى للجماعة الإنسانية، وقد عرفها يوحنا كومنيوس "yohanacomenious" التشيكوسلوفاكى (1592-1670) بأنها:

عملية تربية حواس الأطفال، بحيث تؤدى وظيفتها كوسيلة لوضع أسس المعرفة التى ينبغى تزويدها للكائن البشرى ليستطيع مواجهة مطالب الحياة ولا ينكر أحد عمق هذا التعريف، لما له من خصائص تربوية هامة وشاملة وخاصته أن هذا العالم تعرض بالإشارة إلى حواس الأطفال وهى المراكز الأساسية التى تستقبل التعليم، ثم تحوله إلى معرفة ثم وجدان ثم سلوك فلن يستطيع الأطفال عمل أى من الأشياء التى تحقق لهم

التفـاعل مع جماعـة للإنسان القريبـة أو البعيـدة دون أن تكون هناك معرفـة لأصول وأسس هذا التفـاعل، ولن يكون هذا التفـاعل على أعلى درجة من الصـدق إلا بعد مرورة على وجـدان الإنسان فيحب عـمله ويؤديه بفرح وسرور أو بكره فـيودى بألم ونفور ثم يكون الإتقان فى السلوك لما سبقه من حب ومـعرفة ولذا يؤكد هذا التعريف منطقية التـربية، وبداياتها الصحيـحة حتى لا يخطئ القائمون عليـها، أو يبدأ بدايات غير صحيحة وبالتالى تحدث المشكلات التربوية العديدة التى تعانى منها الدول المتخلفة والنامية من خلال البدأ فى الأسر بالطريقة العشوائية التى لا تحقق فى النهاية إلا فشل أو انحراف عن الأهداف التربوية.

العالية التى نريدها فى أطفـالنا فى مستقبل يحتاج إلى أنسـان قد تربت حواسه، ووصل إلى أعلى درجة من الرقى لأحـاسيسه حـتى يعيش أحداث المجتمـع ويتفاعل معـها إيجابياً كـما أن العالم التـشكى استطاع أن يصل إلى ما نريده نحن فى الألفـية الثالثة وهو يتناول القضيـة التربوية فى القرن السابع عشر كأنه كان يستـشرف المستقبل الذى يحـقق لجماعـة الإنسان مـا تريد، وكأن لفظ القـرآن الكريم "أقرا" طرق أذنه وعقله وقلبه وانطلق به إلى أعلى درجات الرؤية والاستبصار ليكون رائداً فى ما نهدف إليه الآن وما نسعى إلـى تحقيقه ولأهمية ذلك نحـاول بقدر الإمكان توضيح ذلك من خلال تقـسيم التعـاريف إلى نظرية علمية لهـا معطيات عـمل لكى نصل إلى المنطق والبرهان المطلوب .

وأهم معطيات النظرية ولهذا التعريف هى:

«عملية تربية حواس الأطفال»

وفى هذا المقام أعطى العالم أهمية للمعنى الداخلى لجوهر الإنسان، ولم يتعرض كثيراً للجـانب المادى باعتبار أن ذلك الجانب يتماثل فـيه مع الحيوان وأن نموه وتطوره يمر بالتطور البيولوجى الطبيعى.

كما أن الأهمية الكبرى التى تجعل الإنسان يصل إلى قيمته هى حواسه والحواس هى مستقبلات عمليه التعليم الراقية، والمتمثلة فى تعليم القراءة التى تحتاج إلى كل الحواس فهى تحتاج إلى:

١ - حاسة البصر.

٢ - حاسة السمع.

٣ - حاسة الفهم.

٤ - حاسة التفكير.

وقد يعترض البعض على أن الفهم والتفكير ليست بحواس، إذا أن العالم درج على أن الحواس خمسة، ولكن تقول لهم أن الحواس الخمسة لا تعمل دون أن يكون لحاسة الفهم والتفكير عملاً رائداً، وكون أنها أخفيت عن المنطوق الشكلى، وإلا أنها ملازمة للمنطوق الفعلى فلا يمكن لأحد أن ينكر أن أى من قطع القماش لا يتكون من الخيوط، ومع ذلك لا نذكرها مطلقاً، ونذكر الشكل بجملته، ولكن العالم الواعى لا ينكر الفضل فى إدراك العلاقات التى كونت ذلك الكل.

وأهم الخطوات العملية لهذه النظرية فى تعريفها للتربية هى:

«تؤدى وظيفتها كوسيلة لوضع أسس المعرفة للكائن البشرى»

إذاً لتربية الحواس عند الأطفال دوراً عملى عالى المستوى لا يمكن أن يتحقق بالصورة التى نرغب فيها إلا من خلال تكامل أداء تلك الحواس لكى تؤدى وظيفتها الأساسية التى يمكن فى وضع أسس المعرفة للكائن البشرى، الذى يختلف عن سائر الكائنات الحية التى نعيش معه، فهو الوحيد المتفرد الذى يجب عليه بناء المعرفة من خلال تعلمها والإسهام فى الحفاظ ع للبقاء على المورثات التى وصلت إليهم من السابقين.

ويؤكد العالم أن المعرفة دون غيرها من الأشياء لها أسس وقواعد لا يمكن للإنسان الوصول إليها دون أن تربى حواسه المختلفة لكى يعرف طبيعتها ويؤمن بأهميتها، وحين يذكر بالتحديد للكائن البشرى فإنه بذلك يؤمن بأنه رسالة الإنسان تختلف تماماً عن سائر الكائنات الحية الأخرى التى تعيش معه على كوكب الأرض .

أما عن وظيفة تلك الحواس فى أسس المعرفة فإنها تحدد فى الأتى:

١ - نقاء الاستقبال ٢ - الاستجابة بقدر المثير

٣- الوعى والفهم والتحليل ٤ - رد فعل مناسب لاستقبال المثير

وإذا استطعنا أن نصل تربية هذه الحواس إلى هذا المستوى عند الأطفال فلا شك أن النتيجة التى تنتظرها فى المستقبل سوف تحقق لنا ما نحلم به من قوة للمعرفة وسيطرة على المقادير التى نتعامل معها بحيث نأمن غدرها ونستفيد من خيرها .

أما البرهان المطلوب لتربية هذه الحواس وقف المتطلبات النظرية فهو:

«القدرة على مواجهة مطالب الحياة»

إن غاية عمليات التربية وأكبر أهدافها هو الوصول إلى درجة تامة فى مواجهة مطالب الحياة المتجددة، ونؤكد على المتجددة لأننا قد نربى ونعلم الحواس لأداء وظيفتها لمطالب الوقت الذى تعلمت فيه، وهذا يعنى نكوصاً إلى الماضى وعودة إلى التأخر عن ركب قافلة الزمان.

ولكننا حين نربى الأطفال فإننا نربيهم لزمان غير زماننا، ومطالب غير مطالبنا، وقصص وحكايات لم نسمع عنها بعد، ولم نحلم بها فى خيالنا وهذا الذى نعيشه الآن، نحن الكبار، فإننا فى غابة الاندهاش بما يقوم به الصغار وقد صدق فيهم القول أنهم خلقوا لزمان غير زماننا فإذا لم تكن الحواس قادرة على التطوير لأداء وظائف جديدة فإنها تهمل وقد تعدم.

ومن هنا كان المنطق والمطلوب تعليم وتربية الحواس لمواجهة مطالب الحياة وهذه هى المعادلة التى نريد تحقيقها من تعليم القراءة للأبناء لأداء الوظائف الضرورية فى المستقبل.

وما ذكرناه فى تحديات العولمة، يفرض علينا واقع تعليم الأبناء القراءة للمستقبل، والإيمان بأنه ليس لنا وسيلة ولا طريق، ولا منجى غير ذلك ويحتم علينا تعليم الأبناء القراءة، إيماناً منا بما يلى:

١ - القراءة من أهم ومائل التربية الحديثة.

٢ - القراءة ضرورة لتحقيق الوصول إلى المعرفة المطلوبة.

٣ - القراءة هى بداية تربية الحواس الإنسانية.

٤ - القراءة هى الأسلوب الأمثل لتحقيق كمال الإنسانية.

٥ - القراءة هى المعطى الوحيد للوصول إلى المطلوب.

وبذلك نكون قد وصلنا إلى أهم بدايات العلاقة التربوية من التنشئة الاجتماعية وتعليم الأبناء القراءة.

(هـ) البعد الاقتصادى:

يتمثل البعد الاقتصادى للتنشئة الاجتماعية فى تحقيق تلبية الحاجات الاقتصادية للفرد والمجتمع، واعتبار أن عمليات التنشئة باللغة الاقتصادية استثمار له عائد وفاقد، ولكى تحقق ارتفاع لعائد، وتقلل انخفاض الفاقد فإن ذلك يأخذنا إلى مراحل الانفاق على تربية الأبناء، وما تم أنفاقه عليهم وما هى المهارات الضرورية التى يجب أن يتعلمها الصغار فى حياتهم المبكرة لكى ينشئوا على ما تحقق فيه النظرة الاقتصادية الاستثمارية.

ولا نبالغ إذ قلنا أن البشر أصبح سلعة اقتصادية فى العالم كله، تباع بأعلى الأثمان ولا يجد المشترى حرجاً فى الدفع الفورى لتلك السلعة الغالية إذا الإنسان هو

محرر العلميات الاقتصادية فى التنشئة الاجتماعية، ولذلك تعتبر التنشئة والتعليم للأطفال هم قوة العمل الحقيقية، ومن الواجب إحداث ثورة اقتصادية فى عقولهم وسلوكهم حتى يتحول هؤلاء الأطفال من أشخاص عاديين، إلى أفراد قادرين على مقابلة تحدى السوق العمل المتجدد، والذى يصارع فيه كل قوى الشعوب على الأرض حتى أن الفرصة الذهبية للعمل لن تكون لصاحب قرابة ن ولكنها سوف تكون بكل تأكيد لمن يملك القدرات والمهارات ذات التفرد والتميز .

ولذلك تصبح عمليات التنشئة الاجتماعية اقتصاديا أمام تحدى حقيقى فى تنمية إدارة الأطفال نحو تحقيق ما يؤهلهم مستقبلاً للمستوى العالمى، خاصة وإن العالم يلغى الحدود الجغرافية والسياسية بين الأقطار، لكى يصبح العالم قرية صغيرة لا يعيش فيها سعيداً إلا كل من يملك مقومات السعادة .

ولا شك أننا فى حاجة ماسة إلى تنشئة اجتماعية جديدة تناسب الخريطة الاقتصادية المتغيرة فى المستقبل، والتى يتحكم فيها العلم وتطبيقاته، ومن هنا كان فيه الضرورى تعليم الأطفال فى بداية حياتهم أنه ليس هناك شيئاً ثابتاً، سوى حروف الهجاء فى أى لغة، ولكن الكلمات والعبارات والألفاظ قابلة للتغير وفق حركة التقدم فى العلم والمعرفة، والدليل على ذلك أن كثيراً من الكلمات التى كانت متداولة فى القرن التاسع عشراً اختفت تماماً فى القرن العشرين، والكثير سوف يختفى فى القرن الحادى ولعشرين، حتى أن هناك أجيال لا تعرف عن الأجيال التى قبلها إلا من خلال القراءة فقط ولكن الروابط المادية قد اختلفت تماماً، مع تغير ألوان للأنشطة الاقتصادية وإذا سألت أى من الأطفال الذين يعيشون القرن الحادى والعشرين عن عملات ومجالات اقتصادية فى النصف الأول من القرن العشرين، فإنهم لا يعرفونها مطلقاً ولا يحتاجون إليها فى حياتهم المستقبلية، كل ذلك دعوة صريحة إلى سرعة حركة التنشئة الاجتماعية فى بعدها الاقتصادى.

لقد أصبح البعد الاقتصادى فى التنشئة الاجتماعية عالمياً، هو تحقيق أسباب التفوق والتنافس فى الفكر الابتكارى الذى يحقق سرعة التحديد فى النجاح المطلوب

للحياة الاقتصادية فى العالم كله، وليس فى مجتمع محدد، فليست هناك الآن مجتمعات محددة وليس غريب ولا مستحيلاً أن تحقق قراءتنا للأطفال الوعى التام، والفهم العميق نحو أهميتهم فى المستقبل كقوة اقتصادية ولأنفسهم ولأسرهم ولمجتمعاتهم بل وللعالم كله، والمثال على ذلك نجاح العالم أحمد زويل المصرى.

فإن نجاحه وتفوقه هو نجاح اقتصادى للعالم كله فتوفير الوقت وسهولة الحصول على المطلوب هو اقتصاد فى معناه، لآن العالم كله الآن يقيس الوقت بالمال.

ومن أهم ما يحقق الأهداف العليا للوطن فى المواطن المصرى الآن هو تعليمه القراءة، لآن فيها إشارة للمستقبل، من ملامح الحاضر والماضى والاقتناع بتعليم القراءة عند الكبار للصغار مهمة تحولت من الفردية إلى القومية فلا يجوز مطلقاً أن نعلم الأطفال القراءة لحل مشكلة الجهل وعدم المعرفة بالقراءة فقط فتلك وأحده قد حسمت، ولكننا نعلم الأطفال لاستشراف المستقبل والنظر بعمق إلى كل ما هو آت لكى نستفيد منه استفادة تامة فى كل احتياجاتنا الاقتصادية والاجتماعية.

وعلينا ونحن نعلم الصغار القراءة، أن نعلمهم الإيمان بعدم استقرار الأوضاع الاقتصادية فى العالم كله، ولكن الأكثر خطراً هو عدم الإسهام فى تحقيق الاستقرار الاقتصادى لأنفسنا ولمن حولنا، حتى لا يفقدنا عدم الاستقرار شخصياً القومية.

ومن ثم وجب علينا أن نوضح أهم دور القراءة فى تحقيق أبعاد التنشئة الاجتماعية فى الأتى:

١ - الوصول إلى ملامح شخصية اجتماعية محصلتها القوة السوية .

٢ - تحقيق خبرة اجتماعية محصلتها الأداء الاجتماعى المقبول .

٣ - الوصول إلى بعد نفسى متوازن ومحصلته التقبل والابتكار .

٤ - تحقيق بعداً اقتصادياً متميزاً ومحصلته القدرة على المنافسة فى الأسواق العالمية .

ثانياً: دور تعليم الأبناء القراءة فى تكامل الشخصية وتحقيق الانتماء:

يعتبر الأبناء فى أى مكان من العالم هم زهرة الحاضر، وثمرة المستقبل، ولذلك تسعى الأسر على اختلاف مستوياتها الاقتصادية الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى بذل مزيد من الرعاية والاهتمام لهؤلاء الأبناء، وليست الأسرة فقط بل وسائر المؤسسات المجتمعية مجتمعه ومنفردة من أجل إعداد الأطفال إعداداً ويجعلهم مواطنين صالحين يملكون من القدرات والمهارات ما يحقق مساعدتهم، ومساعدة مجتمعاتهم، كما أن الجميع يؤمنون يقيناً بأن أى تقصير فى العناية بتلك الطفولة هو القضاء على ثمار المستقبل وكتابة شهادة وفاة لهذا المجتمع .

وإذا كان الأطفال يمثلون الاستثمار الحقيقى للمجتمع فى المستقبل، فعلينا جميعاً أن نعمل، ونقول نعمل ونؤكد عليه، لآن القول الذى لا يتبعه عملاً هو نفاق والنفاق أشر سلوكا من الكفر، وإذا كنا نؤمن بالعمل كهدف ووسيلة لتحقيق تكامل شخصية الأطفال ووصولهم إلى مرحلة النضج الإنسانى على أعلى درجة من السواء، وبعيداً كل البعد عن الانحراف بكافة اشكالة وألوانة، حتى يمكن أن نأمن بأن المستقبل سوف يكون فى أيدى أمينة مؤمنة بربها وبوطنها وبقدرتها الموضوعية على الحفاظ على الثقافة المجتمعية التى يعتبرها سياجا آمنة وإمانة، وأن يعمل على التجديد المحقق لأهداف المجتمع .

ولذلك يعتبر بناء الشخصية المتكاملة عند الأطفال من أهم أهداف التربية والتعليم على كافة مستوياتها ومؤسساتها، مدركين أن البناء يبدأ من القاعدة العمرية وهى مرحلة الطفولة المبكرة، التى يعتبرها البعض كالأرض الطيبة إذا أحسن حرثها وبذرها فسوف ينعم الله علينا بأجود الثمر وإذا كنا فى حاجة ماسة إلى بناء شخصية متكاملة عند الأطفال فعلينا ونحن نعلم أولادنا القراءة فى بداية أعمارهم أن نكون على علم تام بخصائص الشخصية الإنسانية ولذلك نوجز سمات فى الخصائص الثلاثة التالية:

خصائص السمات الشخصية الإنسانية:

(١) الاختلافات النوعية عند الأطفال

أكد علماء النفس آن الأطفال فى كل زمان ومكان حتى لو كانوا توائم متشابهة فان بينهم اختلافات نوعية واضحة، ولا يمكن الجزم والتأكيد على أنها شخصية وأحدة، ويخطأ كثيرا من يتعامل مع التوائم المتشابهة على إنهما شخص وأحد فى السلوك، ولذلك تعتبر الشخصية الإنسانية شخصية فردية لا مثيل متكامل ومتطابق لها فى العالم كله. وقد تكون تلك الميزة قدرة من الله فى خلقة، حتى أن الله سبحانه وتعالى خاطب الإنسان منفرداً بشخصه فى كثير من الآيات مؤكداً بذلك عظمته فى تفرد شخصيات عبادة وقد الزم كل إنسان طائرة فى عنقه، ولو كانت الجماعة الإنسانية متشابهة لكان الأمر مختلفاً كثيراً .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى ميز وفرد كل انسان الفرد بشخصية فريدة فعلينا أن نعى ذلك ونؤمن بها، ونعمل من أجل تفردها وتميزها والوصول بها منفردة إلى أقصى ما أودع الله فيها من أسرار وخفايا لا يمكن الكشف عنها إلا بالبحث عنها والتنقيب، وهذا ما يجعل تعلم القراءة فرصة ذهبية للوصول إلى أعماق التفرد فى الشخصية الإنسانية من حيث ما تحب وتهوى، وما حيث ما تأمل وتتمنى، وكل ذلك يكون من أيسر الوسائل للتحقيق أهداف تكامل شخصيات الأطفال .

(٢) الثبات النسبى لسلوك الإنسان:

إن من أهم ما يميز السلوك الإنسانى هو الثبات، النسبى الذى يجعلنا نستطيع أن نتنبأ لسلوكه المستقبلى، ولذلك علينا أن ندرس المواقف السلوكية المختلفة التى يقوم بها الأطفال صغاراً، وأن نعمل على تسجيلها إذا تكررت المواقف، إيماناً منا بأنها إشارات ضوئية لما سوف ينطلق به إمكانات الصغار مستقبلاً ويقول المثل الشعبى مؤكدا ذلك، فى أن السير يدل على المسير وأن الكلام يدل على المتحدث، والفعل يدل على

الفاعل، فلا شك أن تلك السنن اللفظية أصبحت لها مدلولات سلوكية، وبذلك نحكم كثيراً على السمات الشخصية المستقبلية من سلوك الأطفال .

وتعليم القراءة للأطفال يعطى لسلوكهم إيماناً ثبات السلوك الإنسانى الثابت حيث يزيل من قلوبهم القلق والخوف والتردد، وكل تلك العوامل تسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى تذبذب السلوك، وهذا يؤدى بدورة إلى أعراض مرضية للشخصية الإنسانية، ونحن فى زمن العولمة نبحث عن الثبات شبه التام فى الشخصية المصرية العربية، حتى تسهم بفاعلية فى الحفاظ على النسق الثقافى للمجتمع .

وتمثل القراءة وتعليمها للأطفال الانتقال من الشك إلى اليقين، واليقين مبدأ من مبادئ الإنسانية العليا، نهدف جميعاً إلى تحقيقه فى أطفالنا حتى يكون مستقبلهم خير مستقبل لنا جميعا .

(٣) إمكانية تعديل وتغير السلوك الإنسانى:

إن الإنسان هو الكائن الحى الوحيد الذى يتمتع بثبات نسبى فى سلوكه لقبول التغير والتعديل المقصود وغير المقصود، لأنه يملك قابلية للتعليم فى كل لحظة لما هو جديد ومحقق للأغراض الخاصة والعامة .

والشخصية الإنسانية تتمتع بمراحل عمريه متتالية فى كل مرحلة لها سلوكياتها وملامحها، وبالتالى نعمل جميعاً على أن تمر الشخصية بكل هذه المراحل حتى لا يحدث لها نكوص فى مرحلة عمريه معينة وذلك بالارتداد إلى مرحلة أقل وتصاب بالعديد من الأزمات النفسية والاجتماعية وتختلف درجة التفاعل والتوقع لظروف البيئية والاجتماعية .

والجميل فى سلوك الإنسان، قابليته للتعديل حتى فيما يتعلق بسلوك الغرائز وإخضاعها للقوانين وثقافة المجتمع ..

الإنسان يتصف دائماً بالذكاء وهو محور العمل مع سماته الشخصية فكلما نما الذكاء واكتسب من البيئة الخبرة المناسبة كلما كان هذا الذكاء متفاعلاً مع الجماعة الإنسانية لما يحقق فيها البناء المتكامل نحو القمة الإنسانية .

وتكامل الحقائق الثلاثة للشخصية الإنسانية يعتمد بدرجة كبيرة على التعليم، والتعليم يبدأ من المهد إلى اللحد، ويبنى على القراءة باعتبارها أسهل الطرق لاكتساب المعرفة والفهم لكل ما يدور حول الإنسان، ويتفاعل معه، من هنا نؤكد أن هناك علاقة طرديه بين البناء السليم للشخصية الاجتماعية للإنسان السوى وبين تعليمه القراءة بجد واجتهاد وصبر ومثابرة .

دور تعلم القراءة فى بناء الشخصية السوية:

(أ) اختيار أسلوب الحياة الخاص به:

لاشك أن لكل إنسان أسلوب خاص فى حياته، وهو أساس تعوده عن الآخرين، الإنسان منذ بداية حياته وتعلمه الخبرات الأولى فيها يحدد أسلوبا لنفسه يستطيع أن يصل به إلى أهدافه، ويحقق به طموحاته وأسلوب الحياة هو محصلة قوانين إحداهما داخلية متمثلة فى الذات وتوجهها مجموعة من العوامل التى تحدد نوع الاستجابة للمواقف المختلفة، والأخرى خارجية متمثلة فى البيئة التى تحيط بالإنسان وهى التى توجه سلوك الذات وقد تعمل هذه العوامل الخارجية فى إعاقة وعرقلة الذات الإنسانية فى الوصول إلى أهدافها، وقد تعمل على تخطى تلك العوائق لتجنب الهزيمة وتحقيق المطلوب من الأهداف، وتعليم القراءة باعتبارها جزء لا يتجزأ من التنشئة الاجتماعية السوية فهى تعمل على :

(١) تحديد طريقة التفكير فى الاجابة عن الأشياء.

(٢) التغلب على الشعور بالعجز وتحدى العقبات.

(٣) حب الاستطلاع وفهم العلاقات للموجودات.

(٤) الإيمان بأهمية العقل فى إدارة سلوك الإنسان.

(٥) التكيف مع المواقف المختلفة بحيث يكمل منظومة التفاعل الإيجابى.

(٦) مواجهة مشكلات الحياة بأسلوب خاص يحقق نمو الشخصية الذاتية.

(٧) تعويض القصور فى بعض نواحى الشخصية للوصول إلى أكمل صورة وحينما يعرف الفرد الإنسان بأسلوب حياه مقبولة ومتميزة بين أفراد الأسرة والمجتمع فإن هذا يؤكد الوصول إلى المستوى الإنسانى اللائق به .

(ب) تحقيق الشخصية المبدعة فى الإنسان:

لقد مّن الله على كل إنسان بمميزات خاصة به، ولكنها تحتاج إلى اكتشاف مبكر حتى يمكن تنميتها وصقلها والوصول بها إلى أعلى درجة من العطاء فالإنسان بطبيعته يملك قدرات واستعدادات موروثة، وكلما تعرض المشكلات تجلت قدراته الداخلية فى التنقيب عن خبرات يزيد بها حصيلته الفعلية وصولاً إلى التفوق والنبوغ والسيطرة على تلك المشكلة .

وللإنسان فى سعيه الدائم نحو الغاية التى يريد إدراكها لا يبحث عن القوة والعداوة إلا إذا أخفق عن التفوق وإثبات الذات .

وتعليم القراءة للأبناء طريق ممهد ومفروش بالورود لتحقيق تلك الشخصية المبدعة، لأن فى بدايتها والوصول إلى قمتها إظهار كل ما يملكة الإنسان من قدرات واستعدادات تجعله يصل إلى التفوق فى ما يعترضه من مشكلات، واستخدام ما لديه فى تحقيق قدرة عقلية ملائمة لإثبات الذات فى جماعة الأسرة والأقران وتمثل تلك القدرة أفضل وأعظم ما وهبه الله للإنسان لكى يعمل على تجديد حياته أملاً فى السعادة فى الدنيا والأخرة .

ومن أهم ما يمكن الاستفادة به من تعليم القراءة فى تحقيق ذلك ما يلى:

(١) صقل الملكات العقلية عند الأطفال.

(٢) شغل عقول الأطفال بمجموعة من الخبرات التى يمكنهم من حل المشكلات.

(٣) الإيمان بأن لكل مشكلة حل يحقق الوصول إلى الهدف المطلوب.

(٤) القراءة أقصر طريق لتعويض القصور فى الذات الشخصية.

(٥) السيطرة على المشكلات الحياتية والوصول إلى إبداعات جديدة تسهم فى مزيد من السعادة للإنسانية.

(ج) تحقيق مبدأ الاهتمام الاجتماعى بالبيئة :

تعتبر الاهتمامات بالبيئة المحيطة دليلاً واضحاً على سواء الشخصية الاجتماعية وعدم انحرافها، وذلك من منطلق أن الإنسان يعيش فى بيئته اجتماعية يجب أن يتكيف معها، ولن يحدث هذا التكيف بالطريقة الموجبة إلا إذا كان كل فرد فى الجماعة يهتم بالمجتمع الذى يعيش فيه ويتناول معه الأخذ والعطاء حتى تتحقق استمرارية النمو والتقدم الاجتماعى والتى تظهر فى صورة حضارات مختلفة للشعوب فى كل مكان .

كما أن الإنسان كائن حى اجتماعى يتميز عن سائر الكائنات الأخرى بما يملك من اهتمامات اجتماعية بالبيئة التى يعيش فيها .

والقراءة بما فيها من علوم ومعارف تمكن الإنسان من الاستفسار والاستطلاع عما يحيط به فى البيئة، فيتفاعل مع الإيجابى منها، ويستنكر السالب منها ولا شك أن تعليم القراءة وحدها كافيا فى تحقيق هذا المبدأ باعتبار أن التعليم وسيلة وهدف، وإن المعلومات التى يكتسبها من تعليم القراءة موسوعة اجتماعية كاملة نحو الحياة والبيئة التى يعيش فيها الأطفال ومن أهم ما يمكن الاستفادة به من القراءة فى ذلك ما يلى:

(١) معرفة المشكلات البيئية التى تحيط بالإنسان .

(٢) اختيار الوسائل المناسبة للتفاعل مع البيئة .

(٣) الإسهام فى التعاون التام مع المنظومة الاجتماعية للبيئة .

(٤) تقوية الميل الاجتماعى للإنسان بالجماعة الإنسانية .

(٥) اكتساب العادات الاجتماعية التى تجعل الإنسان سوى الشخصية نافعا لنفسه ولمجتمعه .

دور القراءة فى علاج العيوب الشخصية:

تطور مفهوم القراءة عند علماء التربية، من التفاعل بين التلميذ والمادة المقروءة إلى أنها أداء للاستمتاع من خلال الترويح والترفيه عن النفس الإنسانية، وبذلك تحول الفكر التربوى من التعليم فقط، إلى التعليم والترويح حتى يمكن للأسرة والمعلمين من تحقيق العلاج النافع للشخصية الإنسانية أثناء تعليم القراءة فالأسرة يمكنها ملاحظة ردود الفعل المختلفة للمواد المقروءة، فإذا كانت إيجابية نحو شىء معين أمكن استغلالها فى تنمية المزيد من الرغبة والاهتمام نحوها، والعكس قد يكون صحيحاً لذلك تماماً فعلينا أن نغير من الخطط والأساليب، ولا يجوز مطلقاً الاستمرار فى الأشياء التى لا يجد الأبناء تفاعلاً موجب معها حتى لا تتكون الذات السالبة ضد هذه الموضوعات وبالتالى ضد القراءة جميعاً، خاصة أن مرحلة الطفولة من أهم مراحل بناء الشخصية الاجتماعية السوية، وأن الرجال غير الأسوياء هم نتاج تربية غير سوية.

ومن أهم ما يمكن أن تعالجه القراءة فى العيوب الشخصية ما يلى:

(١) علاج التردد والقلق الذى يعترى الشخصية عند الأطفال .

(٢) علاج الخوف المرضى والنفسى للكثير من الحيوانات التى تعيش مع الأطفال فى بيئاتهم.

(٣) تحقيق دوراً رائداً فى علاج فقد الثقة بالذات.

(٤) الوصول إلى درجة مناسبة من علاج الانطواء وعدم الاختلاط مع الآخرين.

(٥) علاج عدم تحمل المسئولية، وتسليم القيادة للآخرين.

ودور القراءة فى تحقيق الانتماء للأسرة والمجتمع والوطن وجماعة الإنسانية:

أكد علماء التربية وعلم النفس الاجتماعى أن هناك علاقة إيجابية بين تعليم الأطفال القراءة، وبين تنمية الجانب الاجتماعى فى طبيعتهم الإنسانية والمجتمعات بكافة صورها تعمل جاهزة دائماً فى الوصول إلى مستوى راق من التنشئة الاجتماعية حتى يكون مواطنيها على وعى تام بمشكلات المجتمع، وما هو الدور المنتظر للإسهام فى حل تلك المشكلات وعندما يصل المواطن إلى درجة من الوعى بمشكلات المجتمع يكون قد وصل إلى بداية الدرجة الأولى من الانتماء، باعتبار أن الانتماء محصلة علاقات اجتماعية سوية بين للإنسان ومجتمعه .

والقراءة بما تحويه من معارف وعلوم اجتماعية تسهم بطريق مباشر إلى تنمية الجانب الاجتماعى كأساس قوى ومتين للانتماء للأسرة والجماعة التى يعيش فيها الإنسان، وكلما استطاعت الأسرة غرس القيم الاجتماعية التى من خلالها يصبح الإنسان أحد منظومات العمل والسلوك الاجتماعى فإن هذا يؤكد أنها تسير وقف الرؤية المستقبلية للانتماء الشامل .

وللانتماء درجات متعددة ولكنه فى النهاية هو صورة الإنسان الاجتماعى، فإن أمكن غرس الانتماء مع الأسرة فإن هذا يشير إلى الانتماء إلى القبيلة والعائلة وجماعة المجتمع ومن ثم للوطن والقومية والذى يأخذ طريقة الإيجابى نحو الجماعة الإنسانية يعيشها فى أمن وأمان اجتماعى، فالأمن والسلام العالمى هو درجة انتماء القادة والشعوب نحو العيش فى تحقيق ذلك.

ولا ينكر أحد أننا نعيش فترة قلق عالمى نتيجة للقرارات العنيفة التى امتلأت بها عقول الصغار فى بدايات النصف الثانى من القرن العشرين فأفرزت قادة وزعماء لا يحملون فى قلوبهم الرحمة الاجتماعية لحياة الإنسانية.

وأخيراً يمكننا أن نقول بصراحة أن ما نعلمه لأطفالنا من قراءة وهم صغاراً هو ما سوف نجنيه ثماراً منهم وهم كباراً .

فليعلم كل منا ما يريده فى المستقبل لنفسه ولوطنه.